فصل في منشإِ اعتقادهم في يزيد

تولَّى يزيد بن معاوية الخلافة على كراهة من كثير من المسلمين، ثم وقعت في زمنه كوائن كقتل الإمام الحسين عليه السلام، والعدوان على أهل المدينة، ونقلت عنه أمور من الاستهانة بالدين، والاستهتار بالشراب أكثرت فيه القال والقيل، وتسبب عن ذلك تشعب الآراء فيه، فذهبت الشيعة فيه مذهبًا معروفًا، وافترق أهل السنة؛ فمنهم من غالى في بغضه وأجاز لعنه، ومنهم من اقتصد ومنهم من خالف وحسَّن الظن، وكان من هؤلاء الشيخ عدي بن مسافر، فقد ظفرنا بنسخة عتيقة من عقيدته ناقصة من آخرها، رأيناه يقول فيها: «وإنَّ يزيد بن معاوية رضي الله عنه إمام وابن إمام، وَلِي الخلافة وجاهد في سبيل الله، ونقل عنه العلم الشريف والحديث، وأنه بريء مما طعن فيه الروافض من أجل قتل الحسين رضي الله عنه، وغير ذلك منبوذ ومهجور الطاعن فيه.» فمن هذا القول نشأ اعتقاد اليزيدية في يزيد، فإنهم تولَّوه أوَّلًا تبعًا لرأي شيخهم، ثم جروا فيه على ما جروا عليه من الغلوِّ في غيره، فجعلوه وليًّا ثم نبيًّا، وما زالوا به حتى اتخذوه إلهًا من الآلهة السبعة حين تمادوا في الضلال واستغرقوا في السخافات والأوهام.

وقد تعرَّض لذلك الإمام ابن تيمية في الرسالة العدوية، ولم يكونوا بلغوا به في زمنه غير مرتبة النبوَّة، فقال: «اعتقد بعضهم أنه كان من الأنبياء، ويقولون: مَن وقف في يزيد وقفه الله على نار جهنم، ويروون عن الشيخ حسن بن عدي أنه كان كذا وكذا وليًّا، وقفوا على النار لقولهم في يزيد.» وقد أطال في هذا الموضوع وبيَّن افتراق الناس فيه بين محبٍّ ومبغضٍ وما نشأ عن تمسك كلِّ فريق برأيه من المغالاة، حتى جعله بعضهم كافرًا زنديقًا، والبعض من أئمة الهدى وكبار الصلحاء بل الأولياء، وذكر أن منشأ الاعتقاد بصلاحه كراهة بعض أهل السنة لِلَعنه، فظنَّ قوم ممن يتسنَّن أن ذلك بُني على صلاحه

فاعتقدوه، ثم بيَّن لهم خطأ الفريقين، ونصحهم باتباع الأولى وهو الاقتصار فيه على أن لا يُسبَّ ولا يُحبَّ.